العراقية المجلات الاكاديمية العلمية
IRAQI Academic Scientific Journals
Al-Itqan Journal of Humanities
available online at
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/575
ISSN: 3105-1073 (OnIine)
المجلة معتمدة بالترقيات العلمية حسب كتاب وزارة التعليم العراقية (46404-1410) في 2026/4/27

تاريخ البيمارستان في الدولة الاموية

م. م. هبة هادي طاهر
مركز جامعة واسط للدراسات الاستراتيجية

History of the Bimaristan in the Umayyad State

Haldelphi@uowasit.edu.iq

الملخص

عرفت البيمارستانات الاسلامية حالة من التطور مطردة فقد كانت بسيطة في العصر الاموي ثم توسعت واضيفت لها بعض مستلزمات خدمات التمريض وزودت بالعقاقير والاطباء البارزين وساعد على ذلك اهتمام الخلفاء والسلاطين بالعلوم الطبية والرعاية الصحية ولقد اهتم الاسلام في مضامينه التشريعية والاخلاقية بصحة المسلم وسلامة جسده لذلك درج المسلمون على الحفاظ على سلامة البدن ورعاية الصحة الفردية والعامة لان ذلك من متطلبات الاهلية للقيام باحكام التكليف المتعلقة بالشؤون العبادية كالقدرة البدنية لوجوب الحج والصيام وغيرهما مما يدخل في هذا السياق .لذلك عملوا على بناء دور الشفاء في مختلف الظروف والاحيان وقد كان الاهتمام قسمة بين الحكام والعامة لتطوير هذا الصرح العظيم في تاريخ الحضارة الاسلامية الذي بقيت بعض آثاره الى العصر الحديث وكان البيمارستان نتيجة مهمّة لجزء كبير من الطاقة والفكر اللذين بذلتهُما الحضارات الإسلامية المتعاقبة في تطوير الفنون الطبيّة. إذ كانت المستشفيات الكبيرة –قديمًا كما هو الحال الآن– تضم مدارس ومكتبات في الطب حيث يلقّن الأطباءُ الكبارُ التلامذة طرائق تطبيق المعارف المكتسبة مباشرةً على المرضى. وكان المستشفى يعقد الامتحانات للطلبة ويُصدر لهم الشهادات، لقد كُرِّس البيمارستان كمؤسسة لنشر الطب، وعلاج الأمراض وتوسعة نطاق المعارف الطبية ونشرها.

الكلمات المفتاحية : البيمارستان ، انواع البيمارستانات ، بيمارستان الشام

Abstract

Islamic hospitals (bimaristans) underwent steady development. They were simple in the Umayyad era, then expanded, incorporating nursing services and providing medicines and prominent physicians. This was facilitated by the interest of caliphs and sultans in medical science and healthcare. Islam, in its legal and ethical principles, emphasized the health and well-being of Muslims. Therefore, Muslims were accustomed to maintaining physical health and caring for individual and public health, as this was a prerequisite for fulfilling religious obligations, such as the physical capacity required for Hajj, fasting, and other related duties.Consequently, they worked to establish hospitals in various circumstances. This development of this great institution in the history of Islamic civilization was shared between rulers and the general public, and some of its remnants have survived to the modern era. The bimaristan was a significant outcome of the considerable energy and intellectual effort invested by successive Islamic civilizations in advancing medical arts. Large hospitals—both in the past and today—included medical schools and libraries where senior physicians taught students how to directly apply their acquired knowledge to patients. The hospital administered examinations to students and issued certificates. The bimaristan was dedicated as an institution for the dissemination of medicine, the treatment of diseases, and the expansion and spread of medical knowledge.

Keywords: Bimaristan, Types of Bimaristan, Bimaristan of Damascus

المقدمة

بالرغم من أن ملاجئ المرضى كانت موجودة من قديم الزمان، غير أن معظمها كان بسيطا، ولا يتجاوز كونه تنظيما أوليا أو هيئة مخصصة للعناية بالمرضى. واستمرت التحسينات المتراكمة خلال الفترة الهيلينية، لكن تلك المنشآت كانت تتجاوز بقليل كونها أماكن لاستضافة للمرضى.

وفي بواكير أوروبا القروسطية، ساد الاعتقاد الفلسفي بأن أصل المرض خارق للطبيعة وأنه، والحال هذه، عصيّ أمام التدخّل البشري، ونتيجة لذلك، كانت المستشفيات تتجاوز بقليل كونها دور رعايةٍ للعجزة حيث جرت إدارة المرضى من قبل رهبان سعوا للتأكّد من خلاص الروح دون بذل كثيرِ جهدٍ لشفاءِ البدن.أما الأطباء المسلمون فقد سلكوا نهجا مختلفا كل الاختلاف. أسوة بحديث النبي محمد صلّى الله عليه وسلّم "ما أنزل الله داءً إلا أنزل له دواء" وحديث "إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الدَّاءَ وَالدَّوَاءَ، وَجَعَلَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءً، فَتَدَاوَوْا، وَلَا تَدَاوَوْا بِحَرَامٍ"، إذ وضعوا نصب أعينهم هدف علاج المرضى باستخدام أساليب عقلانية تجريبية.وكان تصميم المستشفى يعكس اختلاف النهج ذاك؛ ففي الغرب، كانت أسرّة وأماكن المرضى مرتبة بحيث يستطيعون مشاهدة القداس اليومي، وكانت هذه المستشفيات بسيطة التحضير، هذا إن كانت مجهزة في المقام الأول، وكثيرًا ما غلب عليها الإعتام والرطوبة، بسبب المناخ وهندستها المعمارية. أما في المدن الإسلامية، التي استفادت بدرجة كبيرة من المناخ الأشد حرًّا ودفئا، فقد أُعدّت المستشفيات بحيث تساعد النور والهواء على الانتشار في الأروقة، مما جعل العلاج قائما على نظريّة الأخلاط، وهو نظام في الطب يُعنى بالعلاج البدني بدلا من الروحاني.

اولا : اهمية البحث

تبرز اهمية الدراسة من ان البيمارستانات تعتبر من اهم وابرز مظاهر الرقي الحضاري في البلاد الاسلامية فهي تمثل مؤسسة اجتماعية ذات طابع صحي استشفائي لها نظمها الادارية الخاصة بها والبيمارستان على العموم دار وقابة وعلاج نشأت جراء حاجة الدول والممالك لا سيما الامارة او دولة الخلافة الاسلامية ابان عصر الازدهار الحضاري الاموي .

ثانيا : مشكلة البحث

تتركز مشكلة الدراسة في استنباط اسس وضوابط البيمارستانات والمباني الطبية لعدم وجود مراجع في هذا المجال للمختصين وطلاب العلم وكذلك غياب التصميم الاسلامي للمشافي خاصة وللمباني عامة والاعتماد على التصاميم المستوردة ، ومن خلال ذلك يبرز السؤال الآتي

ما هي ابرز البيمارستانات في بلاد الشام ؟

ثالثا : منهجية البحث

تم اتباع المنهج الوصفي التحليلي بطريقته العلمية القائمة على الاستقراء .

رابعا : خطة البحث

المبحث الاول مفهوم كلمة البيمارستان وانواعه المطلب الاول : معنى كلمة البيمارستان المطلب الثاني : انواع البيمارستان المبحث الثاني : اشهر بيمارستانات الشام

المبحث الأول مفهوم كلمة البيمارستان وانواعه

البيمارستانات هي إحدى المنشآت والعمائر كالمساجد والتكايا والقباب والمدارس الخ التي كان يشيدها الخلفاء والسلاطين والملوك والأمراء وأهل الخير على العموم صدقة وحسبة وخدمة للإنسانية وتخليدا لذكراهم. ولم تكن مهمة هذه البيمارستانات قاصرة على مداواة المرضى، بل كانت في نفس الوقت معاهد علمية ومدارس لتعليم الطب واستنادا الى ذلك تم تقسيمنا لهذا المبحث الى مطلبين حيث جاء في المطلب الاول معنى البيمارستان وتطرقنا في المطلب الثاني الى انواع البيمارستانات

المطلب الاول : معنى البيمارستان

البيمارَسْتان بفتح الراء وسكون السين كلمة فارسية مركبة من كلمتين بيمار بمعنى مريض أو عليل أو مصاب وستان بمعنى مكان أو دار فهي إذا دار المرضى ثم اختصرت في الاستعمال فصارت مارستان كما ذكرها الجوهري في صحاحه [١]وكانت البيمارستانات من أول عهدها إلى زمن طويل مستشفيات عامة، تعالج فيها جميع الأمراض والعلل من باطنية وجراحية ورمدية وعقلية، إلى أن أصابتها الكوارث ودار بها الزمن وحل بها البوار وهجرها المرضى فأقفرت إلا من المجانين حيث لا مكان لهم سواها. فصارت كلمة مارستان إذا سمعت لا تنصرف إلا إلى مأوى المجانين : [٢]وأُطلِقَت هذه اللفظة على المستشفيات في العصور الإسلامية وأخذت أحياناً تسمية أخرى، هي "دار الشفاء" وهي بمثابة المستشفيات العامة التي تعالج فيها جميع الأمراض الباطنية والجراحية والرَمِدية والعقلية. ولما أصابتها الكوارث هجرها المرضى إلا من المجانين حيث لم يكن لهم مكان سواها فأصبحت الكلمة مرتبطة بهؤلاء المرضى فقط ولقد انتشرت البيمارستانات انتشاراً كبيراً في العالم الإسلامي[٣]ويستعمل المغاربة لفظ بيمارستان بمعنى بيمارستان للأمراض العصبية فقط، ولم يتم العثور على أي مرادف لكلمة البيمارستان في المصادر التاريخية ولم يستخدم المسلمون سوى لفظ كلمة البيمارستان، حتى نهاية العصر العباسي [٤] .

المطلب الثاني : انواع البيمارستانات

اولا : البيمارستانات الاسلامية الثابتة :

هي ما كان بناؤها ثابتاً في مكان خاص وكان هذا النوع موجوداً في معظم البلاد الإسلامية، ولاسيما في العواصم الكبرى للدولة، والبيمارستانات الثابتة تنقسم بشكل عام إلى قسمين، قسم للذكور وقسم للإناث وكل قسم مجهز بما يحتاجه من آلات ومعدات طبية، وعدد كبير من الخدم ورجال ونساء، وكل قسم له قاعات مختلفة منها الباطنية، وأخرى للجراحة والكحالة والتجبير وغير ذلك من القاعات والأقسام نفسها في البيمارستانات الثابتة مقسمة إلى شعب، ومن ميزات البيمارستانات الثابتة يجب أن يكون الماء جار فيها وموقعا مناسبا مزودة بصيدلية وعليها مسؤول يسمى مهتار [٥] .وهذه البيمارستانات الثابتة لها أطباء مختصون ونظار، ولها عيادة خارجية، حيث يأتي المريض ويتناول الدواء ليتعاطاه في منزله كعلاج منزلي، وهناك علاج داخلي عندما يقيم المريض في البيمارستان داخل القسم المخصص له فيعطى العلاج اللازم ولأهل المريض حق الزيارة له كما كانت هذه البيمارستانات الثابتة تعمل ليل نهار على مدار الساعة [٦]وانتشر مثل هذا النوع من البيمارستانات في المدن العربية الكبيرة مثل القاهرة ودمشق وبغداد، وأول إنشائها كان في عهد الدولة الأموية زمن الخليفة الوليد بن عبد الملك عام ٨٨هـ/٧٠٦م حيث عين الأطباء، وأجرى عليهم الأرزاق وهذا النوع من البيمارستان الثابت اهتم به العباسيون وتفاخروا به، فاهتم الرشيد والمأمون والمقتدر، وكذلك بنى الأيوبيون والفاطميون مثل هذه البيمارستانات، فكان الأيوبيون يهتمون بمثل هذا النوع من البيمارستانات الثابتة، حيث كسبت شهرة كبيرة أثناء حروبهم مع الصليبيين والذي دفعهم لذلك كثرة الجرحى أثناء حربهم ومواجهتهم للحملات الصليبية، لذلك حرص أمراؤهم على بناء الكثير منها، ومن أشهرها البيمارستان النوري الكبير في دمشق، والذي بناه نور الدين محمود بن زنكي ٥٦٩هـ/١١٣٧م والبيمارستان الناصري الذي بناه صلاح الدين الأيوبي في القاهرة [٧] ولقد ضمت هذه البيمارستانات مدرسة لتعليم الطب والصيدلة وتطبيق العلوم الطبية وكانت القاعات في البيمارستانات العامة تُدفأ شتاء وتُبرد صيفاً حيث يوضع المراوح الكبيرة الممتدة من طرف القاعة إلى الطرف الثاني، وكانت أراضي القاعة تغطى بأغصان شجر الحناء أو الرمان أو بشجر المصطكي أو بأوراق الشجيرات العطرية ولتخفيف ألم المرضى في البيمارستانات من طول الانتظار، وطول الوقت كان المؤذنون في المسجد يؤذنون وقت السحر وقبل الفجر بساعتين حتى يخفف قلق المرضى الذين أضجرهم السهر وطول الوقت [٨] .

ثانيا : البيمارستانات الاسلامية المتنقلة :

١- البيمارستانات المحمولة :

ظهرت مثل هذه البيمارستانات منذ العصر العباسي) ،(٧وأنشئت بهدف الوصول بالخدمات الطبية إلى المناطق البعيدة مثل الريف والقرى البعيدة عن المدن) ،(٨وكان لمثل هذه البيمارستانات الاهتمام أيضاً بالسجون التي لا يوجد بها أطباء، وهي أول خدمة طبية في العالم لأهل الريف وسكانه، وابتكر العرب مثل هذه البيمارستانات خصيصاً لمواجهة انتشار الأوبئة والأمراض، وظهرت في عهد الخليفة المقتدر بالله عام ٣٢٠-٢٩٥هـ/٩٣٢-٩٠٧م [٩]وهي بطبيعة الحال مجهزة بما يلزم المرضى من علاج وأدوات صحية وجراحية وملابس وأطباء وصيادلة، ومخصصة بما يحتاجه العجزة والقاصرون، وينتقل هذا البيمارستان من مكان إلى آخر في البلدان الخالية، وتسمى بالمستوصفات السيارة، وكانت ترافق الخلفاء والسلاطين والأمراء عند تنقلهم أيضاً وهي لا تقدم علاجاً أولياً فقط بل أشمل وأعم، حيث عرف عن وجود أطباء جراحين يجرون عمليات جراحية في أي مكان لذلك اهتم بها السلاطين وزودوها بما يلزم وأعطوها عناية خاصة، وهذا ما أكده علي بن عيسى وزير الخليفة المقتدر رئيس الأطباء يكتب إلى سنان ما يلي (وفكرت فيمن بالسواد من أهله، وأنه لا يخلو من أن يكون فيه مرضى لا يشرف متطبب عليهم، لخلو السواد من الأطباء، فتقدم مد الله في عمرك بإنفاذ متطببين وخزانة من الأدوية والأشربة، ويطوفون في السواد ويقيمون في كل صقيع منه مرة ما تدعو إلى مقامهم ويعالجون من فيه، ثم ينتقلون إلى غيره ففعل سنان ذلك) [١٠] .

٢- بيمارستانات السبيل (الحجاج) :

وهي ما تسمى البعثات الطبية والتي ترافق الحجاج وهي تزود بمواد الإسعاف والأدوات الجراحية والأدوية، وتحمل في صناديق خاصة برفقة الأطباء والممرضات ومهامهم معالجة من يمرض في قوافل الحج، ويقال أن أول من قام بمثل هذه البيمارستانات الخليفة معاوية بن ابي سفيان ٤١-٦٠هـ وابنه يزيد بن معاوية فقد قال الطبيب أبو الحكم الدمشقي "ولي الموسم في أيام معاوية بن أبي سفيان يزيد بن معاوية، فوجهني أبوه معه متطبباً له وللحجاج [١١] .

٣- بيمارستانات محطات الاسعاف :

كانت هذه المحطات تقام بالقرب من الجوامع وأماكن تجمع الناس، وبها أطباء يتناوبون العمل ليل نهار، ويسعفون الناس وقت الحاجة وكانت مثل هذه الإسعافات تقام في وقت الأعياد والمواسم والمهرجانات، وتجهز بالأطباء والصيادلة لمعالجة المرضى المصابين من أي حوادث ويحدثنا المقريزي أن ابن طولون حين بنى جامعه الشهير في مصر عمل في مؤخرة ميضأة وخزانة شراب صيدلية متنقلة وفيها جميع الأدوية وعليها خدم وفيها طبيب جالس يوم الجمعة لمعالجة من يصابون بالأمراض [١٢] .

المبحث الثاني اشهر بيمارستانات الشام

اولا : بيمارستان الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي

قال الشيخ أبو العباس أحمد القلقشندي: إن أول من اتخذ البيمارستان بالشام للمرضى الوليد بن عبد الملك وهو سادس خلفاء بني أمية، تولى الخلافة سنة ٨٦هـ/٧٠٥م، وقال رشيد الدين ابن الوطواط: أول من عمل البيمارستان وأجرى الصدقات على الزمنى والمجذومين والعميان والمساكين واستخدم لهم الخدام الوليد بن عبد الملك. [١٣] .وقال تقي الدين المقريزي: أول من بنى البيمارستان في الإسلام ودار المرضى الوليد بن عبد الملك. وهو أيضًا أول من عمل دار الضيافة وذلك سنة ٨٨هـ ، وجعل في البيمارستان الأطباء وأجرى لهم الأرزاق، وأمر بحبس المجذمين لئلا يخرجوا، وأجرى عليهم وعلى العميان الأرزاق، ولم يصل إلينا أي علم أو إشارة عن المكان الذي أنشأ فيه الوليد البيمارستان [١٤] .

ثانيا : بيمارستان انطاكية

جاء في كتاب كنوز الذهب في تاريخ حلب٤ عن المختار بن الحسن بن بطلان: أنه هو الذي بنى البيمارستان بأنطاكية وقال: وقفت على مقالة ابن بطلان في علة نقل الأطباء تدبير الأمراض التي كانت تعالج قديمًا بالأدوية الحارة إلى التدبير المبرد كالفالج واللقوة، ومخالفتهم في ذلك لمسطور القدماء، صنفها سنة ٤٥٥هـ بأنطاكية قال في آخرها: قال المختار بن الحسن: صنفت هذه المقالة لصديق لي وأنا يومئذ مكدود الجسم منقسم الفكر في جميع الآلات لبناء بيمارستان أنطاكية [١٥]وقال جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي في سياق كلامه عن أنطاكية ودخول ابن بطلان إليها نقلًا عن ابن بطلان نفسه: وفي البلد بيمارستان يراعي البطريرك المرضى فيه بنفسه. وكذلك قال ابن أبي أصيبعة عن مقالة ابن بطلان في علة نقل الأطباء: وصنف ابن بطلان هذه المقالة أيضًا بأنطاكية سنة ٤٥٥هـ، وكان في ذلك الوقت قد أهل لبناء بيمارستان بأنطاكية. [١٦] وان ابن بطلان خرج من بغداد إلى مصر قصدًا منه إلى مشاهدة علي بن رضوان الطبيب، وكان دخوله إلى الفسطاط في مستهل جمادى الآخرة سنة ٤٤١هـ/ ١٠٤٩م وأقام بها ثلاث سنين وذلك في دولة المستنصر بالله الفاطمي، وجرت بينهما مناظرة ومنافرة، وألف ابن بطلان كتابًا تضمن كثيرًا مما وقع بينه وبين ابن رضوان، وسافر ابن بطلان إلى قسطنطينية وأقام بها سنة ثم ورد أنطاكية، وبنى بها البيمارستان، إلى أن توفي سنة ٤٥٥هـ وقيل ٤٥٨هـ. [١٧] .

ثالثا : المارستان الصغير بدمشق

ذكر ابن العماد في شذرات الذهب: المارستان الصغير بدمشق أقدم من المارستان النوري وكان مكانه في قبلة مطهرة الجامع الأموي، وأول من عمره بيتًا وخرب رسوم المارستان منه أبو الفضل الأخناوي، ثم ملكه بعد أخوه البرهان الأخناوي، وهو تحت المئذنة الغربية بالجامع الأموي من جهة الغرب، وينسب إلى أنه عمارة معاوية أو ابنه. [١٨] .

رابعا : البيمارستان الكبير النوري

ملك السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي دمشق سنة ٥٤٩هـ وكان قد أسر بنفسه في بعض الغزوات بعض ملوك الفرنج، فاستشار الأمراء فيه: هل يقتله أو يأخذ منه ما يبذله من المال في الفداء؛ فاختلفوا عليه ثم حسن له رأيه إطلاقه وأخذ الفداء. فحين جهز بعث الفداء مات ببلده فأعجب ذلك نور الدين وأصحابه، وابتنى نور الدين من ذلك المال البيمارستان الذي بني بدمشق، وهو أحسن ما بني من البيمارستانات بالبلاد، ومن شرطه: أنه على الفقراء والمساكين وإذا لم يوجد بعض الأدوية التي يعز وجودها إلا فيه فلا يمنع منه الأغنياء، ومن جاء إليه مستوصفًا فلا يمنع من شرابه. ولهذا جاء إليه نور الدين وشرب من شرابه رحمه الله. ويقول بعض الناس: إنه لم تخمد منه النار منذ بني إلى زماننا (أي زمان ابن كثير الذي ننقل عنه هذا الكلام وقد توفي سنة ٧٧٤هـ) [١٩] وقال ابن جبير وقد دخل دمشق سنة ٥٨٠: وبها مارستان قديم وحديث والحديث أحفلهما وأكبرهما، وجرايته في اليوم نحو الخمسة عشر دينارًا، وله قومة وبأيديهم الأزمة المحتوية على أسماء المرضى وعلى النفقات التي يحتاجون إليها في الأدوية والأغذية وغير ذلك حسبما يليق بكل إنسان منهم، والأطباء يبكرون إليه في كل يوم، ويتفقدون المرضى ويأمرون بإعداد ما يصلحهم من الأدوية والأغذية. والمارستان الآخر على هذا الرسم، لكن الاحتفال في الجديد أكثر، وهذا المارستان القديم هو غربي الجامع المكرم. وللمجانين المعتقلين أيضًا ضرب من العلاج وهم في سلاسل موثوقون وهذه المارستانات مفخر عظيم من مفاخر الإسلام.

(٢٠) وقال ابن أبي أصيبعة لما أنشأ الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي البيمارستان الكبير، جعل أمر الطب فيه إلى أبي المجدين بن أبي الحكم بن عبيد الله بن المظفر بن عبد الله الباهلي، وأطلق له جامكية وجراية، وكان يتردد إليه ويعالج المرضى فيه، وكان أبو المجد بن أبي الحكم يدور عليهم ويتفقد أحوالهم ويعتبر أمورهم، وبين يديه المشارفون والقوام لخدمة المرضى، فكان جميع ما يكتبه لكل مريض من المداواة والتدبير لا يؤخر عنه ولا يتوانى في ذلك. ثم قال: وبعد فراغه من ذلك وطلوعه إلى القلعة وافتقاده المرضى من أعيان الدولة يأتي ويجلس في الإيوان الكبير الذي بالبيمارستان، وجميعه مفروش، ويحضر كتب الاشتغال. وكان نور الدين رحمه الله قد وقف على هذا البيمارستان جملة كتب من الكتب الطبية، وكانت في الخرستانين اللذين في صدر الإيوان، فكان جماعة من الأطباء والمشتغلين يأتون إليه ويقعدون بين يديه، ثم تجرى مباحث طبية ويقرئ التلاميذ، ولا يزال معهم في اشتغال ومباحثة ونظر في الكتب مقدار ثلاث ساعات. قال جمال الدين بن تغري بردي في سنة ٥٩٧ جاءت في شعبان زلزلة من مصر امتدت إلى دمشق فرمت بعض المنارة الشرقية بجامع دمشق وأكثر الكلاسة والبيمارستان النوري (٢١) وقال خليل بن شاهين الظاهري بعد أن زار دمشق: وبها مارستان لم ير مثله في الدنيا قط، واتفقت نكتة أحببت أن أذكرها: وهي أني دخلت دمشق في سنة ٨٣١هـ/١٤٢٧م وكان بصحبتي رجل عجمي من أهل الفضل والذوق واللطافة، وكان قصد الحج في تلك السنة، فلما دخل البيمارستان المذكور ونظر ما فيه من المآكل والتحف واللطائف التي لا تحصى، قصد اختبار رجال البيمارستان المذكور فتضاعف [تمارض] وأقام به ثلاثة أيام، ورئيس الطب يتردد إليه ليختبر ضعفه، فلما جس نبضه وعلم حاله وصف له ما يناسبه من الأطعمة الحسنة والدجاج المسمنة والحلوى والأشربة والفواكه المتنوعة. ثم بعد ثلاثة أيام كتب له ورقة من معناها: أن الضيف لا يقيم فوق ثلاثة أيام. وهذا في غاية الحذاقة والظرافة. (٢٢)وقيل إن البيمارستان المذكور منذ عمر لم تنطفئ فيه النار. ولما أتى بدر الدين ابن قاضي بعلبك إلى دمشق ولاه الملك الجواد مظفر الدين يونس بن شمس الدين مودود بن الملك العادل بعد أن تملك دمشق في سنة ٦٣٥ الرياسة على جميع الأطباء والكحالين والجراحين، فلم يزل مجتهدًا حتى اشترى دورًا كثيرة ملاصقة للبيمارستان الكبير النوري، وتعب في ذلك تعبًا كثيرًا واجتهد بنفسه وماله حتى أضاف هذه الدور المشتراة إليه، وجعلها من جملته، وكبر بها قاعات كانت صغيرة وبناها أحسن البناء وشيدها وجعل الماء فيها جاريًا، فتكمل بها البيمارستان. (٢٣)وذكر ابن الوردي : أنه في سنة ٧٢٨هـ جاء سيل عظيم على عجلون (دمشق) خرب سوق التجار والمارستان والدباغة وبعض الجامع. وذكر ابن تغري بردي أن شيخ الإسلام شهاب الدين الغزي المتوفى سنة ٨٢٢ تولى نظر البيمارستان النوري(٢٤)وذكر السخاوي : أن الشيخ المؤرخ تقي الدين المقريزي كاتب التوقيع في ديوان الإنشاء بمصر والمتوفي سنة ٨٤٥هـ، كان قد دخل دمشق مرارًا وتولى بها نظر وقف القلانسي والبيمارستان الكبير النوري مع كون شرط نظره لقاضيها الشافعي، وهذا يشبه بالتمام نظر البيمارستان المنصوري بالقاهرة فإنه لقاضيها الشافعي. وقد كان للبيمارستان الكبير النوري من المكانة بحيث كان النظر عليه لنائب السلطنة بدمشق قال القلقشندي: ومن الوظائف الديوانية الكبيرة بدمشق نظر البيمارستان الكبير النوري، وقد صار معدوقًا بالنائب (أي نائب السلطان) يفوض التحدث فيه إلى من يختاره من أرباب الأقلام وكذلك يكون معه نظر الجامع الأموي بدمشق. (٢٥)ولبيان حال هذا المارستان في العصور المتأخرة وما كان عليه من الأهمية والمكانة ننقل هنا ما ذكره المحبي بصدده قال: إن حسن باشا بن عبد الله الأمين المعروف بشوريزه حسن، أحد صدور دمشق وأعيانها، المتوفى سنة ١٠٢٧هـ، ولي وقف البيمارستان الكبير النوري فأقام شعائره بعد أن كانت اضمحلت وعمر أوقافه، وأتى فيه من حسن التنمية بما لا مزيد عليه (٢٦)وأخبرني العالم الجليل الأستاذ محمد كرد علي بك من أعلام دمشق حالًا: أن البيمارستان الكبير النوري ظل عامرًا يعالج فيه المرضى إلى سنة ١٢١٧هـ/١٨٩٩م، وكان أطباؤه وصيادلته لا يقلون عن العشرين حتى قامت بلدية دمشق في عهد ولاية حسين ناظم باشا والي سوريا سابقًا بإنشاء مستشفى للغرباء في الجانب الغربي من تكية السلطان سليمان، المطلة على المرج الأخضر، وجمعت له الإعانات بأساليب مختلفة، من واردات البلدية وأوقاف البيمارستان النوري لتنفق عليه، وسمي المستشفى الحميدي نسبة إلى السلطان العثماني عبد الحميد الذي بني المستشفى الجديد في عهده، وهكذا خلف المستشفى الحميدي البيمارستان النوري نفسه، فقد جعل مدرسة للبنات ولا تزال واجهته على حالها وبها بعض الحجرات والنوافذ من البناء القديم وسطت الأيام على بقية البيمارستان فعفا أثرها (٢٧).

الخاتمة

١- البيمارستانات في العصور الإسلامية كانت تتصف بالمواصفات القياسية العالمية المعمارية والصحية من السعة والإضاءة الطبيعية أو الاصطناعية الجيدة، والتهوية التدفئة الطبيعية وإبراز اهتمام المسلمين بتصنيف البيمارستانات والمرضى مراعين في ذلك الجنس والعمر وتجانس الأمراض، وأهمية ذلك في تصميم البيمارستانات.

٢- لقد اهتمت البيمارستانات الاسلامية في عصر الخلافة الاموية منذ ارهاصاتها الاولى بتقديم خدمات جليلة للمسلمين وغير المسلمين وفي مختلف الاوقات خاصة اثناء الحروب وحتى اثناء خدمة الجيوش المعسكرة وفي فترات انتشار الاوبئة الفتاكة كما تنوعت وتعددت اشكال هذه الخدمات وفقا لامكانيات ومواصفات كل بيمارستان .

٣- كانت علاقة الاطباء بالمرضى والزوار علاقة حسنة .

٤- لعب الحكام دوراً رئيساً في بناء البيمارستانات وتبنوا الاتفاق عليها .

٥- عمل اطباء البيمارستانات في بلاد الشام اثناء الحكم الاموي على تناقل الخبرات الطبية بينهم من اجل مصلحة المرضى .

قائمة المصادر

١. ابن ابي اصيبعة ، احمد بن القاسم ، عيون الانباء في طبقات الاطباء ، ط١ ، دار ومكتبة الحياة للنشر ، بيروت ، ١٩٨٨ .

٢. ابن العجمي ، احمد بن ابراهيم ، كنوز الذهب في تاريخ حلب ، ط١ ، دار القلم الشامية للنشر ، حلب ، ١٩٩٧ .

٣. ابن العماد ، عبد الحي بن احمد ، شذارت الذهب في اخبار من ذهب ، ط١ ، دار ابن كثير للنشر ، دمشق ، ١٩٨٦ .

٤. ابن العماد ، عبد الحي بن احمد ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب .

٥. ابن الوردي ، عمر بن مظفر بن عمر ، تاريخ ابن الوردي ، ط١ ، المطبعة الحيدرية للنشر، النجف الاشرف ، ١٩٩٠ .

٦. ابن جبير ، محمد بن احمد ، رحلة ابن جبير ، ط١ ، دار ومكتبة الهلال للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٩ .

٧. ابو المحاسن ، يوسف بن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، دار الكتب للطباعة ، مصر ، ٢٠٠٠ .

٨. البابا ، مؤمن انيس ، البيمارستانات الاسلامية حتى نهاية الخلافة العباسية ، رسالة ماجستير ، الجامعة الاسلامية ، غزة ، ٢٠٠٩ .

٩. بن شاهين ، غرس الدين خليل ، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، دار العرب للطباعة ، بيروت ، ١٩٨٨ .

١٠. السخاوي ، محمد بن عبد الرحمن ، التبر المسبوك في ذيل السلوك ، ط١، مطبعة بولاق للنشر ، مصر ، ٢٠٠٣ .

١١. عيسى ، احمد ، تاريخ البيمارستانات في الاسلام ، ط٢ ، دار الرائد العربي للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨١ .

١٢. عيسى ، احمد ، تاريخ البيمارستاناتا في الاسلام ، ط١ ، دار الرائد العربي للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨١ .

١٣. غني ، قاسم ، من تاريخ الطب الاسلامي ، ط١ ، دار الكتب المصرية للطباعة ، القاهرة ، ١٩٧٦ .

١٤. فراج ، عز الدين ، فضل علماء المسلمين على الحضارة الاوروبية ، ط١، دار الفكر العربي للنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٠ .

١٥. القفطي ، جمال الدين ابو الحسن علي ، اخبار العلماء باخبار الحكماء ، دار الكتب العلمية للنشر ، بيروت ، ٢٠٠٥ .

١٦. القلقشندي ، احمد بن علي ، صبح الاعشى في صناعة الانشاء ، ط١ ، دار الكتب العلمية للنشر ، بيروت ، ١٩٨٧ .

١٧. الكتاني ، محمد عبد الحي ، نظام الحكومة النبوية ، ط١ ، دار احياء التراث العربي للنشر ، بيروت ، ١٩٩٠ .

١٨. المحبي ، محمد امين بن فضل الله ، خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر ، دار صادر للنشر ، بيروت ، ١٩٩٩ .

١٩. المقري ، شهاب الدين احمد بن محمد ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ط١، دار صادر للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٧ .

٢٠. المقريزي ، احمد بن علي بن عبد القادر ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، دار الكتب العلمية للنشر ، بيروت ، ١٩٩٨ .

هوامش البحث

[١] - عيسى ، احمد ، تاريخ البيمارستانات في الاسلام ، ط٢ ، دار الرائد العربي للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص٤ .

[٢] - فراج ، عز الدين ، فضل علماء المسلمين على الحضارة الاوروبية ، ط١، دار الفكر العربي للنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٠ ، ص١٦٨ .

[٣] - الكتاني ، محمد عبد الحي ، نظام الحكومة النبوية ، ط١ ، دار احياء التراث العربي للنشر ، بيروت ، ١٩٩٠ ، ج١ ، ص٢٩٧ .

[٤] - البابا ، مؤمن انيس ، البيمارستانات الاسلامية حتى نهاية الخلافة العباسية ، رسالة ماجستير ، الجامعة الاسلامية ، غزة ، ٢٠٠٩ ، ص١٢ .

[٥] - ابن ابي اصيبعة ، احمد بن القاسم ، عيون الانباء في طبقات الاطباء ، ط١ ، دار ومكتبة الحياة للنشر ، بيروت ، ١٩٨٨ ، ص٤١٦

[٦] - غني ، قاسم ، من تاريخ الطب الاسلامي ، ط١ ، دار الكتب المصرية للطباعة ، القاهرة ، ١٩٧٦ ، ص٦٥ .

[٧] - القفطي ، جمال الدين ابو الحسن علي ، اخبار العلماء باخبار الحكماء ، دار الكتب العلمية للنشر ، بيروت ، ٢٠٠٥ ، ص١٤٨ .

[٨] – ابن جبير ، محمد بن احمد ، رحلة ابن جبير ، ط١ ، دار ومكتبة الهلال للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٩ ، ص٢٦ .

[٩] – المقري ، شهاب الدين احمد بن محمد ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ط١، دار صادر للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٧ ، ج٢ ، ص٦٣٨ .

[١٠] – ابو المحاسن ، يوسف بن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، دار الكتب للطباعة ، مصر ، ٢٠٠٠ ، ج٦ ، ص٨٢ .

[١١] – ابن العماد ، عبد الحي بن احمد ، شذارت الذهب في اخبار من ذهب ، ط١ ، دار ابن كثير للنشر ، دمشق ، ١٩٨٦ ، ج١ ، ص٧١ .

[١٢] – المقريزي ، احمد بن علي بن عبد القادر ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، دار الكتب العلمية للنشر ، بيروت ، ١٩٩٨ ، ج٢ ، ص٤٠٥ .

[١٣] – القلقشندي ، احمد بن علي ، صبح الاعشى في صناعة الانشاء ، ط١ ، دار الكتب العلمية للنشر ، بيروت ، ١٩٨٧ ، ج١ ، ص٤٣١ .

[١٤] – المقريزي ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ج٢ ، ص٤٠٧ .

[١٥] – ابن العجمي ، احمد بن ابراهيم ، كنوز الذهب في تاريخ حلب ، ط١ ، دار القلم الشامية للنشر ، حلب ، ١٩٩٧ ، ج١ ، ص٤٨٤ .

[١٦] – القفطي ، اخبار العلماء باخبار الحكماء ، ص٢٩٧ .

[١٧] – ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء في طبقات الاطباء ، ج١ ، ص٢٤٣ .

[١٨] – ابن العماد ، عبد الحي بن احمد ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، ج٣ ، ص٤٠٧ .

[١٩] – ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص٢٨٣ .

[٢٠] – ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء في طبقات الاطباء ، ج٢ ، ص١٥٥ .

[٢١] – ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء في طبقات الاطباء ، ج٢ ، ص١٥٦ .

[٢٢] – بن شاهين ، غرس الدين خليل ، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، دار العرب للطباعة ، بيروت ، ١٩٨٨ ، ص٥٣٣ .

[٢٣] – ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء في طبقات الاطباء ، ج٢ ، ص٢٦٠ .

[٢٤] – ابن الوردي ، عمر بن مظفر بن عمر ، تاريخ ابن الوردي ، ط١ ، المطبعة الحيدرية للنشر، النجف الاشرف ، ١٩٩٠ ، ص٢٩٠ .

[٢٥] – السخاوي ، محمد بن عبد الرحمن ، التبر المسبوك في ذيل السلوك ، ط١، مطبعة بولاق للنشر ، مصر ، ٢٠٠٣ ، ص٢٢ .

[٢٦] – المحبي ، محمد امين بن فضل الله ، خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر ، دار صادر للنشر ، بيروت ، ١٩٩٩ ، ج٢ ، ص٢٥

[٢٧] – عيسى ، احمد ، تاريخ البيمارستاناتا في الاسلام ، ط١ ، دار الرائد العربي للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص٢١٥ .